منهج القرطبي في إبراز الدور القيادي للمرأة من خلال تفسيره لقصة "ملكة سبأ"

Al-Qurṭubī's Methodology in Highlighting the Leadership Role of Women through His Exegesis of the Story of the Queen of Shebain

[1] **ريما تكروري**، باحثة في الدراسات القرآنية، طالبة دكتوراة. جامعة النجاح الوطني: فلسطين.
[2] **عودة عبد الله** ، رئيس قسم أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية: فلسطين.

تاريخ الاستلام: 2026/11/02 تاريخ القبول: 2026/11/04 تاريخ النشر: 2026/11/06

ملخص:

تناولت في هذا البحث المنهج التفسيري للإمام القرطبي في إبراز الدور القيادي للمرأة، متخذًا من قصة ملكة سبأ في تفسيره " الجامع لأحكام القرآن " نموذجًا تطبيقيًا. وقد اتبعتُ في دراستي المنهج الاستنباطي التحليلي، لاستنتاج القواعد المنهجية التي اتبعها القرطبي، وتحليل رؤيته الفقهية والواقعية تجاه أهلية المرأة للقيادة.

قمت في المبحث الأول بتحليل موقف القرطبي من مكانة المرأة وأهليتها القيادية، حيث استنتجت من نصوصه رؤية توازن بين الضوابط الشرعية والقدرات الفطرية.

وفي المبحث الثاني سلطت الضوء على الملامح القيادية لملكة سبأ كما صورها القرطبي، مبرزًا قدرتها على إدارة الأزمات عبر الحكمة السياسية، ومبدأ الشورى، والجرأة في اتخاذ القرار إلى الرجوع إلى الحق.

أما في المبحث الثالث، فقمت بتحليل الوسائل المنهجية التي استخدمها القرطبي لربط النص القرآني بالواقع، مستنتجًا الدلالات التربوية والاجتماعية التي تبرز أهمية دوره في تناول قضايا المرأة، وخلصت من هذه الدراسة أن منهج القرطبي يمثل رؤية تجديدية، تعترف بقدرة المرأة على القيادة متى ما توفرت فيها شروط الكفاءة.

الكلمات المفتاحية: تفسير القرطبي، ملكة سبأ، المرأة في القرآن، الدور القيادي للمرأة، الإدارة والقيادة

Abstract

In this research, I explored how Imam Al-Qurtubi showed the leadership role of women through the story of the Queen of Sheba in his

interpretation. To do this, I followed an analytical approach to understand his ideas and connect them to reality.

In the first part, I explained Al-Qurtubi's view on women's ability to lead, showing how he balanced religious rules with practical skills. In the second part, I focused on the leadership qualities of the Queen of Sheba as described by Al-Qurtubi, such as her political wisdom, her use of consultation (Shura), and her courage in choosing the truth.

In the third part, I analyzed the methods Al-Qurtubi used to connect the Quranic text to social and educational life. I concluded that Al-Qurtubi provided an open and fair vision that confirms a woman's competence and her important role in society.

Keywords: Tafsīr al-Qurṭubī, Queen of Sheba, Women in the Qur'an, Women's Leadership Role, Management and Leadership.

مقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

يُعد موضوع الدور القيادي للمرأة من المواضيع التي نالت اهتمامًا واسعًا في الدراسات الإسلامية، وخاصة من خلال ما يورده القرآن الكريم من قصص تبين مكانة المرآة ودورها في المجتمع.

وإن القرآن الكريم، بوصفه المصدر الأول للتشريع الإسلامي، يُعد المصدر الأساسي في بناء المفاهيم الإسلامية المتعلقة بالإنسان والسلطة والقيادة، وقد عرض نماذج قيادية متنوعة جسّدت القيم الإيمانية والأخلاقية في واقع الحياة، ومن أبرز النماذج النسوية التي قدّمها القرآن نموذج " ملكة سبأ" في سورة النمل، التي تُمثل نموذجًا قرآنيًا فريدًا لقدرة المرآة على تولي زمام القيادة والحكم، وإدارة شؤون الدولة بحكمة وروية، في مشهد قرآني يزيح الغبار عن صورة نمطية سائدة.

وقد حُظيت هذه القصة باهتمام المفسرين، ومنهم الإمام القرطبي (ت671هـ) في تفسيره " الجامع لأحكام القرآن " الذي يُعد من أبرز التفاسير الجامعة بين الرواية والدراية، وبين التحليل اللغوي والاستنباط الفقهي والتوجيه التربوي، وتمثل دراسة منهجه في تفسير قصة ملكة سبأ مدخلًا مهمًا للكشف عن كيفية تعامله مع النموذج القيادي النسوي، وإبراز الدلالات التي استنبطها من النص القرآني في هذا السياق.

وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يجمع بين دراسة منهج مفسر مؤثر في التراث التفسيري، وتحليل نموذج قرآني قيادي نسوي، وبيان الرؤيا القرآنية لمفهوم القيادة في إطار منضبط بالقيم الإيمانية، لذا فإن هذا البحث يسعى إلى بيان كيف عالج الإمام القرطبي قصة " ملكة سبأ "، وما المعالم المنهجية التي اعتمدها في إبراز دور المرأة القيادي، بهدف تعميق نظرية القيادة النسائية في الفكر الإسلامي، وتعزيز مكانة المرأة في المجتمع.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على الدور القيادي للمرأة أهمية متعددة الأبعاد تتجلى في الجوانب الآتية:

***الأهمية العلمية والبحثية:**

إبراز البحث للمنهج الذي اتبعه القرطبي في تفسير الآيات المتعلقة بالمرأة القيادية، مما يفتح المجال لمقارنة هذا المنهج مع مناهج المفسرين الآخرين، للمساهمة في تطوير الدراسات المنهجية في التفسير.

***الأهمية الدينية والشرعية**

تصحيح المفاهيم المغلوطة: فهذه الدراسة تعالج بعض المفاهيم الخاطئة التي تُروّج حول " دور المرأة في الإسلام " خاصة فيما يتعلق بقيادتها السياسية، فقصة ملكة سبأ تُعد نموذجًا قرآنيًا واضحًا على "اعتراف الإسلام بدور المرأة القيادي " وهو ما أكده القرطبي في تفسيره.

***الأهمية الاجتماعية والتاريخية**

التأثير على الوعي المجتمعي المعاصر: في ظل النقاشات الحديثة حول " حقوق المرآة ودورها القيادي " تُقدم هذه الدراسة أدلة قرآنية وتفسيرية تؤكد أن الإسلام لم يقف عائقًا أمام قيادة المرأة، بل وضع لها ضوابط تضمن نجاحها وعدالتها.

أسباب اختيار الموضوع

-اهتمام شخصي وبحثي: ينبع الاختيار من إعجاب بمنهج القرطبي المتوازن في إبراز قوة المرأة دون تجاوز الشرع، مع الحاجة إلى إعادة إحياء هذا التراث في الدراسات النسوية الإسلامية.

-دراسة تفسير الإمام القرطبي يوفر فرصة لاستكشاف كيفية تفسير النصوص القرآنية لقضايا المرأة، مما يُعزز الفهم العلمي للتراث الإسلامي.

-قصة ملكة سبأ كنموذج قرآني حي، يُعد نموذجًا قرآنيًا نادرًا لامرأة قائدة حكيمة، تجمع الشورى والإيمان، ويُظهر القرطبي فيها دروسًا قيادية تتجاوز الزمان والمكان.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في ملاحظة وجود نوع من القصور في إبراز النماذج القيادية للمرأة كما عرضها القرآن الكريم، حيث يُكتفى أحيانًا بذكر القصص دون استنباط القواعد القيادية منها. وتظهر الحاجة ملحة لبيان كيف تناول الإمام القرطبي في تفسيره شخصية " ملكة سبأ " كنموذج للمرأة الحكيمة والقائدة، إذ يهدف البحث إلى كشف المنهج الذي اتبعه القرطبي في تحليل سلوكها القيادي مثل:(مشاورتها لقومها ورجاحة عقلها) وبيان كيف استطاع الإمام القرطبي الفقيه أن يوازن بين النصوص الشرعية وبين تقديم صورة إيجابية ومؤثرة للمرأة في أعلى هرم السلطة.

تساؤلات البحث

السؤال الرئيسي: ما هو منهج الإمام القرطبي في تناول قصة ملكة سبأ، وكيف استنبط من خلالها الأسس والمعالم التي تبرز الدور القيادي للمرأة؟

الأسئلة الفرعية:

1-ما هي الخصائص المنهجية التي تميز بها القرطبي في تفسير الآيات المتعلقة بملكة سبأ، وكيف استثمر اللغة والمأثور في توضيح أبعاد شخصيتها؟

2-ما هي الصفات القيادية التي استنبطها القرطبي من سلوك ملكة سبأ تجاه قومها وتجاه نبي الله سليمان؟

3-كيف وظّف القرطبي ثناء القرآن على رجاحة عقل ملكة سبأ في صياغة رؤيته حول " أهلية المرأة " لتولي المهام الجسيمة؟

4- كيف تعامل القرطبي مع إشكالية " الولاية العامة " للمرأة في ضوء إشادته بنجاح ملكة سبأ في قيادة دولتها وتحقيق صلاح قومها ؟

أهداف البحث:

1-استكشاف المعالم المنهجية التي اعتمدها الإمام القرطبي في تفسير قصة ملكة سبأ، مع بيان كيفية توظيفه للأدوات اللغوية والآثار المروية في رسم الملامح الشخصية لها وتوضيح أبعادها الإنسانية والسياسية.

2-استنباط السمات القيادية لملكة سبأ من خلال رؤية القرطبي التفسيرية، وتحليل منهجه في رصد تفاعلها القيادي مع قومها، ومع نبي الله سليمان " عليه السلام.

3-بيان الكيفية التي استثمر بها القرطبي ثناء القرآن الكريم على رجاحة عقل ملكة سبأ، وتحليل انعكاس ذلك الثناء على رؤيته الفقهية والاجتماعية حول " أهلية المرأة " وقدرتها على النهوض بالمهام الجسيمة.

4-تسليط الضوء على موقف القرطبي من إشكالية " الولاية العامة " للمرأة، ومحاولة الكشف عن ملامح " التوفيق المنهجي " لديه بين إشادته بنجاح ملكة سبأ كقائدة سياسية وبين الأحكام الفقهية المتعلقة بتولي المرأة لمناصب الحكم.

فرضيات البحث:

الفرضية الرئيسية:

*يبرز منهج القرطبي الدور القيادي للمرأة في تفسيره لقصة ملكة سبأ خلال استخلاص دروس فقهية تركز على الشورى والحكمة كأساس شرعي، مما يعكس رؤية إسلامية متوازنة.

الفرضيات الفرعية

*يعتمد القرطبي أسلوبًا تحليليًا لغويًا وفقهيًا يُظهر صفات ملكة سبأ القيادية (الشورى، الشجاعة، الاعتراف بالحق) بشكل أعمق من باقي التفاسير.

*يوفر تفسير القرطبي دروسًا معاصرة تدعم مشاركة المرأة في القيادة بشرط التقوى والاستشارة، مسددًا فجوة في الدراسات النسوية الإسلامية.

*يستند منهجه إلى أقوال السلف والسنة لتصوير ملكة سبأ كنموذج يجمع القوة واللين ضمن الحدود الشرعية.

منهج البحث

1-المنهج الوصفي التحليلي

-دراسة تفسير الإمام القرطبي لقصة ملكة سبأ في سورة النمل (الآيات 22-44)

-تحليل أسلوبه في عرض شخصية " بلقيس " ملكة سبأ.

-استخراج المعاني والدلالات المتعلقة بالقيادة النسائية من خلال سياق الآيات.

2-المنهج الاستقرائي

-جمع النصوص التفسيرية للقرطبي المتعلقة بقصة ملكة سبأ من كتابه " الجامع لأحكام القرآن ".

- تتبع آرائه وتفسيراته حول صفاتها القيادية (الحكمة، الشورى، التواضع، الإيمان)

3-المنهج الاستنباطي

-استنباط القواعد والأسس التي اعتمد عليها القرطبي في إبراز الدور القيادي للمرآة.

-ربط تفسيره بالسياق التاريخي والاجتماعي للمرأة في عصره.

الدراسات السابقة

تعددت الدراسات التي تناولت الإمام القرطبي ومنهجه، كما تعددت البحوث التي تناولت المرأة في القرآن الكريم، ويمكن تصنيف هذه الدراسات على النحو الآتي:

***دراسات تناولت منهج القرطبي في التفسير:**

- محمد حسين الذهبي " التفسير والمفسرون " (ج2) سلط الضوء على منهج القرطبي في تفسير القصص القرآني، وقد أبرز الذهبي كيف استند القرطبي إلى أقوال الصحابة والتابعين في تفسيره لقصة بلقيس، مع تحليل لغوي وفقهي للأحداث.

-فهد الرومي " مناهج المفسرين " أوضح أن القرطبي كان يولي اهتمامًا كبيرًا بالسياق التاريخي للقصص القرآني، مما ساعد في إبراز دور الشخصيات النسائية مثل بلقيس ومريم وآسيا. وقد استخدم القرطبي أسلوب " المقارنة بين النماذج القيادية " (مثل سليمان وبلقيس) لتوضيح صفات القيادة الناجحة.

-عبد الله بن يوسف الجديع " منهج الإمام القرطبي في التفسير ": يدرس منهج القرطبي في تفسير القصص القرآني، مشيرًا إلى أنه كان " يستخدم أسلوب الاستنباط والاستدلال " لتوضيح الدروس المستفادة من القصص.

***دراسات تناولت دور المرأة القيادي في القصص القر آني:**

-نوال السعداوي " المرأة والقرآن "، تتناول الكاتبة دور المرأة في القرآن من منظور نسوي، مع التركيز على قصة بلقيس كمثال على " القيادة النسائية الناجحة " إلا أن دراستها تفتقر إلى التحليل التفصيلي لمنهج المفسرين.

-أميمة أبو بكر " المرأة في القصص القرآني: دراسة تحليلية "، تقدم تحليلًا لقصة بلقيس من منظور " القيادة السياسية والدينية " مشيرة إلى أن القرآن لم يفرق بين الرجل والمرآة في القدرة على الحكم، طالما توافرت الحكمة والعدل، إلا أنها لم تتعمق في منهج القرطبي بشكل خاص.

-محمد طيب خرفي، القيادة النسوية في القرآن -ملكة سبأ نموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة الشهيد حمه لخضر، معهد العلوم الإسلامية قسم أصول الدين، إشراف: د.فهيمة بن عثمان، 1440هـ-1441هـ/2019م-2020م.

من خلال استعراض الدراسات السابقة يتضح أن: لا توجد دراسة مستقلة تتناول منهج القرطبي في تفسير قصة ملكة سبا بتركيز على إبراز الدور القيادي.

خطة البحث: تم تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث:

مقدمة: اشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وتساؤلاته، وأهدافه، وفروضه، ومنهجه، والدراسات السابقة للموضوع.

التمهيد ويشمل:

اولًا: التعريف بالإمام القرطبي ومنزلته في التفسير

ثانيًا: قصة ملكة سبأ في السياق القرآني

ثالثًا: الدور القيادي للمرأة في المنظور القرآني.

المبحث الأول: موقف القرطبي من المرأة وأهليتها للقيادة.

المطلب الأول: مكانة المرأة عند القرطبي

المطلب الثاني: موقف القرطبي من أهلية المرأة للقيادة.

المبحث الثاني: أبرز ملامح القيادة عند ملكة سبأ في تفسير الإمام القرطبي

المطلب الأول: الحكمة السياسية وحسن إدارة الأمور

المطلب الثاني: الاعتماد على الشورى في اتخاذ القرار

المطلب الثالث: هيبة القيادة وقوة إدارة الدولة

المطلب الرابع: الجرأة في الرجوع إلى الحق وقبول الحقيقة

المبحث الثالث: منهج القرطبي في إبراز قيادة المرأة: الوسائل والدلالات والتقييم

المطلب الأول: الوسائل المنهجية التي استخدمها القرطبي في إبراز معاني القيادة

المطلب الثاني: الدلالات التربوية والاجتماعية لقيادة المرآة

المطلب الثالث: إشارات القرطبي إلى دور المرأة القيادي

المطلب الرابع: أهمية منهج القرطبي في تناول قضايا قيادة المرأة وتقييمه.

التمهيد

يُعد قسم التمهيد بمثابة نظرة عامة أساسية للبحث، وهو يوضح شخصية الإمام القرطبي ومنزلته في التفسير، ثم يعرض قصة ملكة سبأ في سياقها القرآني، وينتهي ببيان مفهوم الدور القيادي للمرأة في المنظور القرآني، مما يمهد لدراسة منهج القرطبي في إبراز هذا الدور.

اولًا: التعريف بالإمام القرطبي ومنزلته في التفسير

*هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي المالكي، وهو إمام في التفسير والفقه، وله الجامع لأحكام القرآن في عشرين مجلدًا، وله كتاب الاستذكار في احكام البخاري، وغيرها من الكتب، والمتوفي سنة إحدى وسبعين وستمائة بالقرطبة[1].

وكان القرطبي من عباد الله الصالحين، ومن العلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، والمشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، وكانت أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف[2].

وإن كون القرطبي ينتمي إلى المذهب المالكي، فقد انعكس ذلك بوضوح في تفسيره، حيث أولى عناية خاصة بالأحكام الفقهية المستنبطة من الآيات، حتى أصبح تفسيره من أهم المراجع في التفسير الفقهي، ومع ذلك لم يقتصر على الجانب الفقهي، بل تناول الجوانب اللغوية والبلاغية، واستعرض أقوال السلف، وقام بترجيح ما يراه راجحًا وفق منهج علمي منضبط.

***منزلة تفسيره " الجامع لأحكام القرآن "**

يُعد تفسير القرطبي من أمهات كتب التفسير، وأحد أهم المراجع التي لا يستغني عنها الباحثون، فقد قال عنه الذهبي قد سارت به لعظيم شأنه الركبان وهو كامل في معناه[3]. ووصفه ابن فرحون بأنه من أجل التفاسير وأعظمها نفعًا، لأنه أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت بدلًا منها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ والأصول واللغة وغيرها[4].

وقد تميز تفسيره أيضًا بالعناية بالأحكام الشرعية وربطها بالآيات، كما كان يعرض أقوال العلماء مع المناقشة والترجيح، وتناول القضايا الاجتماعية والسلوكية من خلال النص القرآني، ومن هنا برزت أهمية دراسة منهج القرطبي وخصوصًا في القضايا التي تتصل بالواقع الاجتماعي، ومنها قضية الدور القيادي للمرأة، حيث يقدم تفسيره رؤية تجمع بين النص الشرعي والتحليل الفقهي.

ثانيًا: قصة ملكة سبأ في السياق القر آني

تُعد قصة ملكة سبأ من القصص القرآنية البارزة، حيث وردت في سورة النمل ضمن سياق الحديث عن نبي الله سليمان عليه السلام، وما آتاه الله من النبوة والملك، وتعرض هذه القصة نموذجًا فريدًا لقيادة امرأة لقومها، في إطار من الحكمة والتدبير السياسي.

وتبدأ القصة عند الإمام الطبري بخبر الهدهد الذي نقل لسليمان عليه السلام عن بلقيس ومملكتها العظيمة وعبادة قومها للشمس، فأرسل لها كتابًا يدعوها لله من خلال الهدهد الذي ألقاه في حجرها، فقامت باستشارة ملأها بحكمة وأرسلت هدية لتختبره، فرد سليمان عليه السلام الهدية، ونقل عرشها، ثم بنى صرحًا من قوارير يجري تحته الماء فظنّته لجّة فكشفت ساقيها، فأسلمت معه لله بعد أن أدركت قدرته الإلهية، مؤكدًا حكمتها السياسية والتأويل اللغوي للآيات دون تمييز للروايات[5].

وأضاف ابن كثير في تفسيره بأن الهدهد أخبر سليمان عليه السلام ببلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ من حمير اليمن، ولها عرش عظيم، وقومها المجرّين للشمس، فأرسل كتابًا يدعوها لله، فردّت بهدية بعد مشاورة حكيمة مع ملأها، فعزم عليه السلام على نقل عرشها قبل إسلامها فجاءه آصف بن برخيا بعرشها في لمح البصر، ثم بُني صرح زجاجي جرى تحته الماء فظنّته لجّة فكشفت ساقيها فأسلمت مع سليمان عليه السلام لله، مؤكدًا حكمتها القيادية وجواز مُلكِ المرأة[6].

وانتهى السياق ببيان أن قوة ملكة سبأ الحقيقية كمنت في قدرتها على رؤية الحقيقة، وقد أثنى الزمخشري على انكسارها واعترافها بربوبية الله بعد المعجزة، وبيّن أنها أسلمت بقلب مخلص مُؤكّدةً جواز قيادة المرأة الحكيمة[7]

لقد كشفت هذه القصة عن مجموعة من القيم القيادية، مثل الحكمة والتروي والقدرة على اتخاذ القرار، والمرونة في التعامل مع المستجدات، كما أنها تُقدم نموذجًا قرآنيًا لامرأة مارست القيادة السياسية بكفاءة، مما يجعلها محورًا مهمًا للدراسة التفسيرية.

ثالثًا: الدور القيادي للمرأة في المنظور القرآني

يُظهر القرآن الكريم حضور المرأة في مجالات متعددة، ولم يقتصر دورها على الجانب الأسري، بل عرض نماذج متنوعة لنساء كان لهنّ تأثير بارز في مجتمعاتهن. حيث يفهم من ذلك أن القرآن يُقدم رؤية متوازنة لدور المرأة، تقوم على التكامل مع الرجل، دون إلغاء لقدراتها أو تهميش لدورها.

فقد كان الدور القيادي للمرأة واضحًا **في قصة موسى عليه السلام**، حيث ورد الحديث عنها في أربع سور من القرآن الكريم وهي (طه، والنحل، والقصص، والتحريم) وأكثر هذه السور تناولًا لهذا الموضوع سورة القصص. وقد تحدث القرآن الكريم عن ثلاث نساء قيادات في هذه السورة وهن **أم موسى، وأخته، وآسية** بنت مزاحم امرأة فرعون، فمثلًا الدور القيادي لأم موسى: حيث امتثلت لأمر الله تعالى بإلقاء ولدها الرضيع في اليم، وهذه شجاعة لا نظير لها، وتسليم لأمر الله تعالى[8].

وقد أثنى القرآن الكريم أيضًا على **السيدة مريم** القانتة الطاهرة العفيفة في مواضع كثيرة، فكانت مريم عليها السلام تتمتع بصفات قيادية ذكرها الله في كتابه منها: اللجوء إلى الله في المدلهمات، والاستعاذة به في كل ما ينزل بالعبد عندما جاء جبريل عليه السلام يبشرها بعيسى آوت إلى ركن شديد، ومنها: حسن الحوار والمراجعة: عندما بشرها جبريل عليه السلام بالولد، راجعته وحاورته في ذلك لتتبين الحق، ولم يكن على سبيل الاعتراض، ومنها: الشجاعة: عندما آتت قومها تحمل صبيها، وهذا دليل ساطع على ما تتمتع به هذه المرأة من القوة والشجاعة والثبات وغيرها من الصفات[9].

ومن أبرز هذه النماذج ملكة سبأ، التي قدمها القرآن بوصفها حاكمة تمتلك مقومات القيادة، حيث أظهرت وعيًا سياسيًا وقدرة على إدارة الأزمات. فقد أبرز الطبري حِكمتها في الشورى قال تعالى: "

قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ" النمل: ٣٢ كعدل ورشد، وفطنتها بطباع الملوك قال تعالى "قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ " النمل: ٣٤ كدراية سياسية، مؤكدًا أنها لا تقطع بأمر دون شهود الملأ[10].

وذهب الزمخشري في كشافه إلى إبراز الدور القيادي لملكة سبأ من خلال البلاغة اللغوية للآيات، مركزًا على حكمتها وفطنتها السياسية، كما أثنى على الشورى قال تعالى: " قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ"النمل: ٣٢، كدليل على مبدأ الشورى القيادي، حيث لم تقطع بأمر دون استشارة أشراف قومها، وقد بين بلاغة قال تعالى: "قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ" النمل: ٣٤ كفطنة سياسية في درايتها بطبائع الملوك المستبدين[11].

ولم تقتصر القيادة في القرآن على الجانب السياسي، بل شملت " القيادة بالقدوة " كما **ذكر ابن كثير في تفسيره:** أن الله جعل من امرأة فرعون ومريم ابنة عمران مثلًا للمؤمنين كافة، في دلالة على أن المرآة قادرة على قيادة التحولات الفكرية والإيمانية الكبرى في أحلك الظروف[12].

وفي نهاية هذا العرض التمهيدي، الذي مهد الطريق لصلب دراستنا، فبعد أن تعرفنا على شخصية القرطبي وعظمة القصة، ننتقل لاستكشاف المنهج الذي اتبعه القرطبي في إبراز هذه القيادة النسائية، سنبحث في تفسيره عن الكيفية التي استخرج بها معالم القوة والرشد في شخصية ملكة سبأ، وكيف وظف هذا النموذج لتعزيز مكانة المرأة القيادية في الفكر الإسلامي.

المبحث الأول: موقف القرطبي من المرأة وأهليتها للقيادة

في هذا المبحث سأسلط الضوء على نظرة الإمام القرطبي للمرأة، وذلك من خلال محورين، سأعرض في **المطلب الأول** رؤيته العامة لـ**مكانة المرأة** ودورها، ثم سأنتقل في **المطلب الثاني** لمناقشة رأيه في مسألة **أهليتها للقيادة** وتولي المناصب، محاولًا فهم الأدلة التي استند إليها في ذلك.

المطلب الأول: مكانة المرأة عند القرطبي

تُعد مسألة مكانة المرأة من القضايا المرتبطة بتحديد دورها في المجتمع في ضوء التصور الإسلامي. ومن الملاحظ أنَّ كتب التفسير تناولت هذه القضية ضمن سياق يجمع بين البعد الفقهي والتحليل النصي. ويبرز تفسير الإمام القرطبي بوصفه نموذجًا لذلك، حيث عالج موضوع المرأة في ضوء النصوص وأقوال العلماء. وأرى أن بيان تصور القرطبي لمكانة المرأة يُمثّل مدخلًا لفهم مواقفه من قضاياها المختلفة، وهو ما يسعى المطلب إلى بيانه.

وإن دراسة مكانة المرأة عند الإمام القرطبي يتطلب استحضار طبيعته الشخصية والبيئة العلمية التي نشأ فيها، فقد كان القرطبي إمامًا " متجردًا عن الهوى، عفيفًا، قانعًا " **كما وصفه ابن**

فرحون[13]، وهذا التجرد والزهد هو ما سمح للقرطبي بأن يتجاوز النظرة النمطية للمرأة في عصره، ليمنحها مكانة تنسجم مع مقاصد الوحي.

وقد أكد القرطبي على كرامة المرأة ومساواتها للرجل في الجوانب الإنسانية، وقد استند في ذلك قال تعالى: "وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ " البقرة: ٢٢٨، حيث قال: دليل على أن للمرأة مع الرجل حقوقًا متساوية فيما بينهما من المعروف[14].

ولقد بدأ القرطبي ببناء مكانة المرأة من خلال تثبيت حقها في التملك والميراث، ففي تفسيره للآية (7) من سورة النساء يؤكد أن الإسلام نقل المرأة من حالة " التهميش الجاهلي " إلى حالة " الاستقلال الحقوقي " حيث أثبت لها نصيبًا مفروضًا مساويًا للرجل في أصل الاستحقاق مقاصد الشريعة[15].

فهذا الاستقلال المالي الذي أكدته الشريعة الإسلامية يعمل على بناء الشخصية المستقلة للمرأة، فالمرأة التي تملك قراراها المادي هي الأقدر على ممارسة أدوار اجتماعية وقيادية لاحقًا.

ولم يقف القرطبي عند حدود المادة، بل انتقل لتقدير " الأهلية العقلية " للمرأة، وهو ما يحلله الدكتور محمد أبو زهرة بقوله إن القرطبي كان يميل إلى إبراز الفطنة والذكاء في الشخصيات النسائية اللاتي ذكرهن القرآن[16]،

وبهدف حماية مكانة المرأة داخل البناء الأسري، أعاد القرطبي تعريف القوامة في تفسير الآية (34) من سورة النساء، محولًا إياها من منطق التحكم إلى منطق الخدمة والرعاية تقوم على الرعاية والنفقة[17].

وأرى أن هذا الطرح يضمن للمرأة الحماية دون إلغاء لوجودها أو طمس لهويتها، مما يجعلها شريكة فاعلة في بناء المجتمع، لا تابعًا سلبيًا.

إذًا الإمام القرطبي قدّم رؤية متكاملة لـ مكانة المرأة، لم تقف عند حدود " العاطفة " أو " التبعية " بل أثبت ذمتها المالية المستقلة وحقها في التملك، والإقرار برجاحة عقلها، وإعادة تعريف القوامة كمسؤولية " رعاية " لا " تسلط "، فهذا التأسيس الفقهي عند القرطبي اظهر مكانة المرأة في كونها " الشريك الفاعل " المؤهل لإثبات كفاءته في ميادين القيادة، وهو ما سأفصله في المطلب القادم.

المطلب الثاني: موقف القرطبي من أهلية المرأة للقيادة

تتضح أهمية هذا المطلب في كونه يظهر أحد مواطن التوتر المنهجي في تفسير القرطبي، حيث تقاطع فيه النص القرآني مع الاجتهاد الفقهي.

أولًا: البعد الفقهي في موقف القرطبي

إن الإمام القرطبي بكونه منتميًا للمذهب المالكي، مال إلى تقييد تولي المرأة الولاية العامة، واستند إلى الأدلة الحديثية، وأهمها حديث: (لن يُفلحَ قومٌ ولَّوا أمرهم امرأةٍ) رواه البخاري[18].

ونقل القرطبي عن **ابن العربي المالكي** تفسيره للحديث بأن المرأة لا تكون خليفة، ولا خلاف فيه[19]. وقال أنه **نُقل عن ابن جرير الطبري** أنه يجوز أن تكون المرأة قاضية، وبيّن أن ذلك لم يصح عنه، وقال لعله نقل عنه كما نقل **عن أبي حنيفة** أنها إنما تقضي فيما تشهد فيه وليس بأن تكون قاضية على الإطلاق، ولا بأن يكتب لها مسطور بأن فلانة مقدمة على الحكم، وإنما سبيل ذلك التحكيم والاستنابة في القضية الواحدة[20]. فبعد ان نقل هذه الروايات، أوضح موقفه من تولي المرأة بالقضاء بقوله وهذا هو الظن بأبي حنيفة وابن جرير، **فذهب إلى عدم جواز تولية المرأة للقضاء**.

0 **وأما ما روي عن ابن عمر** أنه قدم امرأة على حسبة السوق، فبيّن القرطبي أنه لم يصح عنه ودعا إلى عدم الالتفات إليه لأنه من دسائس المبتدعة[21].

0 ثم نقل تناظر **أبو بكر بن الطيب المالكي الأشعري مع أبي الفرج بن طرار شيخ الشافعية** حول جواز تولية المرأة القضاء، فكانت **حجة** أبي الفرج انه يجوز للمرأة أن تحكم لأن الغرض من الأحكام تنفيذ القاضي لها، وسماع البينة عليها، والفصل بين الخصوم فيها، وذلك ممكن من المرأة كإمكانه من الرجل.

وكان **رد أبي بكر الطيب** (المالكي): بأن أوضح الفرق بين المنصبين، فأوضح أن القضاء ولاية، وليس مجرد نقل خبر، فالقاضي له سلطة الإلزام والتنفيذ كالإمامة الكبرى، وهذه الأمور لا تتأتى من المرأة كتأتيه من الرجل[22]. فكانت **النتيجة** أن أبي بكر الطيب أثبت أن المرأة لا تملك كمال الأهلية للتصرف في دماء المسلمين وأموالهم.

0 **ونقل كلام ابن العربي المالكي** بالرد على من أجاز تولية المرأة القضاء، فقال ان هذا الرأي لا يُعتد به، أي ليس له اعتبار، لأن وظيفة القضاء لا تتفق مع الأحكام الشرعية الخاصة بالمرأة، فإن كانت فتاة فالنظر إليها وكلامها بغير ضرورة محرم، وإن كانت برزة (كهلة) فمنصب القضاء يتطلب منها الاجتماع بالرجال في مجلس واحد، وهذا لا يليق بها وبسترها، ثم استنكر على من يتخيل تطبيق هذه المسألة واقعًا[23].(1)

فالملاحظ هنا، أن الإمام القرطبي تبنى هذا الرأي، وتعامل معه كقاعدة شرعية عامة في باب السياسة الشرعية، وهو ما عكس غلبة منظوره الفقهي التقليدي.

ثانيًا: البعد التفسيري (قصة ملكة سبأ)

فإذا انتقلنا إلى تفسيره لقصة بلقيس نلاحظ أنه أظهر مرونة منهجية، فلم يسقط الحكم الفقهي على النص القرآني، بل قام بعرض القصة كما هي مع إبرازه لصفاتها القيادية (الحكمة، الشورى، الرجوع إلى الحق) فالقرطبي وجه اهتمامه إلى سلوكها القيادي نفسه، ولم يعلق على قيادتها بوصفها مذمومة.

وأخلص من هذا الاستقراء إلى **أن القرطبي سار على منهجيين:** منهج فقهي له قواعد عامة، ومنهج تفسيري تحليلي، يعرض فيه النموذج القرآني كما هو، وهنا نتساءل هل يُعد ذلك تعارضًا بين موقفه الفقهي وموقفه التفسيري، على ما يبدو أن القرطبي لم يُعده تعارضًا، وإنما ميّز بين تفسيره لقصة بلقيس كواقعة تاريخية، وبين شروط الولاية كحكم شرعي، فكأنه حاول التوفيق بين النص والاجتهاد. وهذا قد يفتح المجال لإعادة قراءة النص، وخصوصًا أن القرآن الكريم لم يذم قيادة المرأة، بل أثنى على صفاتها القيادية.

المبحث الثاني: أبرز ملامح القيادة عند ملكة سبأ في تفسير الإمام القرطبي

بعد دراسة موقف القرطبي من المرأة وأهليتها من القيادة في المبحث الأول، نتجه لدراسة التطبيق العملي لهذا الموقف من خلال تفسيره لقصة ملكة سبأ، لأنها تمثّل نموذجًا قرآنيًا متكاملًا للقيادة النسائية، فكان لابد من متابعة كيفية تقديم القرطبي للمرأة كقائدة ناجحة استطاعت إدارة شؤون قومها بذكاء.

والهدف من هذا المبحث هو تحليل أبرز ملامح القيادة التي أظهرها القرطبي في تفسيره لشخصية ملكة سبأ، من خلال استقراء النص القرآني، وبيان كيفية توظيفه في إبراز صفات القائد الناجح.

المطلب الأول: الحكمة السياسية وحسن إدارة الأمور

أرى أن نجاح ملكة سبأ في إدارة دولتها اعتمد بشكل أساسي على حكمتها السياسية وحسنها في إدارة شؤون الدولة، وهو من أبرز السمات القيادية التي أظهرها القرآن الكريم في شخصية ملكة سبأ، لذلك وقف الإمام القرطبي عند هذه الجوانب وقفات تفسيرية، لإبراز حكمتها ورجاحة عقلها، **ومن مظاهر حكمتها السياسية ما جاء في قوله تعالى: "قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ"** النمل: ٣٢

إن ذكاء ملكة سبأ ظهر بوضوح في رد فعلها الهادئ فور استلامها رسالة النبي سليمان " عليه السلام " فهي لم تستهن بالرسالة بل وصفتها بأنها (كتاب كريم)، فقد أشاد القرطبي على فطنة بلقيس حين تلقت خبر الهدهد، فقالت للملأ أفتوني في أمري مستشيرةً إياهم قبل أن تبث بالرسالة، مما دل على

حكمتها السياسية في إدارة الشؤون العامة بعدم الاستبداد. وهذا السلوك قد أظهر قدرتها على توحيد الجهود واستيعاب الآراء بعكس الملوك المستبدين[24].

ويمكن ان استنتج هنا أن الإمام يرى في سلوك ملكة سبأ، نموذجًا للقيادة الرشيدة، ودليلًا على أن الحكمة ليست مرتبطة بجنس معين، بل هي مرتبطة بأهمية التفكير في إدارة الأزمات.

وعندما عرض هذا الجانب لم يعلق، بتعليق **سلبي**، وهذا يعكس إقراره الضمني بكفاءة هذا النموذج القيادي.

كما وظهرت حكمتها السياسية في قوله تعالى: "قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ" النمل: ٣٤.

ففي هذه الآية ظهرت حكمتها في تقديرها لعواقب الأمور، فقال القرطبي إنها لم تعجل بالقرار حتى تبيّنت الحق، فقد ربط القرطبي هذا بفقه السياسة الشرعية في تأجيل الحسم إلى وضوح البينة، وهذا يظهر إدارتها الناجحة للأزمة دون إراقة دماء وهذا يدل على أنها تخاف على بلادها وشعبها من دمار الحروب وهو الذي جعلها تختار الطريق السلمي، وأرى أن القرطبي رأى في حرصها على العمران وحماية الشعب ملمحًا قياديًا.

ولقد أشاد القرطبي بحسن نظرها وتدبيرها السياسي في تفسيره لقوله تعالى: "وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ" النمل: ٣٥.

فقد اعتبر إرسال الهدية دليلًا على فطنتها في استطلاع نوايا سليمان عليه السلام وتجنب الحرب دون الاستسلام الفوري، فقال هذا من حسن نظرها وتدبيرها، فأرسلت الهدية لتجرب سليمان: هل هو ملك يُرضى بالمال فيقبل الهدية، أم هو نبي يرفضها، وهذا يظهر فطنتها السياسية في الاختبار الدبلوماسي قبل الحرب أو الاستسلام[25].

المطلب الثاني: الاعتماد على الشورى في اتخاذ القرار

بعد ان استعرضت في المطلب الأول الحكمة السياسية لملكة سبأ انتقل إلى ركيزة أخرى مهمة وهي (الاعتماد على الشورى)، وهي من أبرز الملامح القيادية التي توقف عندها القرطبي، ويظهر ذلك من خلال تفسيره **لقولها:**" يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ "النمل: ٣٢، فقد وضح القرطبي أن بلقيس لم تُقضِ الأمر منفردة برأيها، رغم قوة سلطانها، بل استشارت الملأ (أشراف قومها)، مشددًا على عدم الاستئثار بالرأي رغم سلطانها، مما أظهر تميزها عن الملوك الجاهلين المستبدين الذين لا يشاورون، فقولها : "يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ "النمل: ٣٢

أي لا أقضي بقرار حتى تحضروا وتشهدوا، مما يُظهر تبعيتها للشورى في الشؤون الكبرى. وقد نقل القرطبي عن ابن عباس: قيل إن الملأ ألف قيل،
وأهل اليمن يسمون القائد قيلًا، ومع كل قيل عشرة آلاف[26].

فالملكة لم تنفرد بالرأي رغم ذكائها، بل طلبت النصيحة من كبار قادة قومها، وأرى أن هذا التصرف يُثبت أن القيادة الناجحة لا تعني السيطرة، بل تعني القدرة على إشراك الآخرين في تحمّل الأزمات.

وقد ربط القرطبي بين (تشهدون) وبين فقه الشورى فوضح أن الملكة لم تكتفِ بالمشاورة العامة، بل طلبت حضورهم المباشر ليكونوا شهودًا على القرار، وهذا هو أصل الحكم الجماعي الذي يتطلب الحاضرين المؤهلين[27].

ويتضح مما سبق أن القرطبي أبرز الشورى باعتبارها أصلًا من أصول الحكم الرشيد، وسمة من سمات القيادة الناجحة، واللافت هنا أن إبراز هذا المبدأ جاء من خلال نموذج نسائي، مما يعزز فكرة أن القيادة الفعالة تقوم على الكفاءة لا النوع.

وأرى أن ذكاءها في إشراك قومها بالرأي هو ما جعلهم يمنحونها الثقة المطلقة بقولهم "وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ" النمل: ٣٣ وهذا الولاء الجماعي يقودنا مباشرة للحديث في المطلب الثالث عن هيبة القيادة وقوة إدارة الدولة.

المطلب الثالث: هيبة القيادة وقوة إدارة الدولة:

في هذا المطلب رسم الإمام القرطبي صورة قوية لملكة سبأ، تظهر أنها لم تكن مجرد حاكمة صورية، بل كانت تمتلك شخصية مهابة، وظهر ذلك من خلال تفسيره **لقوله** تعالى: "إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ" النمل: ٢٣ مبالغة، أي مما تحتاجه المملكة، وقيل: أوتيت من كل شيء في زمانها، ووصف العرش بالعظيم، في الهيئة ورتبة السلطان. وقيل كان من ذهب تجلس عليه، وقيل العرش هنا المُلك.

وقد ربط القرطبي بين قوله تعالى: "قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ" النمل: ٣٣

وبين أدب الحكام من خلال إبراز حسن سلوك بلقيس في المشورة والاستشارة كمثال للقائد الحكيم، فعنده الأدب مكمل لقوة السلطان لا منافس له، فبلقيس كانت ذات قوة وهيبة، ولكن أدبها الحسن مع الملأ زاد من هيبتها واستقرار ملكها، فالقوة المادية: موارد المُلك والعرش العظيم، والقوة المعنوية: أدبها حافِظٌ لهيبة الملأ ووحدة القوم، فالأدب ليس ضعفًا بل قوة تُثبت السلطان[28].

ومن الأمور الأخرى التي ذكرها القرطبي في تفسيره والتي تُظهر هيبتها القيادية: قوتها العسكرية وظهر ذلك في قول الملأ، فقد أظهروا لها قوتهم وشدتهم في الحرب، **وفطنتها في تقييم الخطر**، فقد أخبرت بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها،

{ولها عرش عظيم} وصفه بالعظم في الهيبة ورتبة السلطان فهذه النقاط مجتمعة تكمل صورة **هيبتها** من قوة عسكرية وفطنة سياسية وعظمة ملك[29].

فالإمام القرطبي لا يكتفي ببيان مظاهر القوة المادية، بل يربطها ضمنيًا بقدرة الحاكم على الإدارة، مما يعني أن القيادة عنده ليست مجرد منصب، بل هي تنظيم وقوة وهيبة، فالملكة كانت قائدة فعليه تدير دولة متماسكة

المطلب الرابع: الجرأة في الرجوع إلى الحق وقبول الحقيقة

هذا من أعمق الملامح القيادية التي أبرزها القرطبي، حيث أشار إلى أن ملكة سبأ لم تترد في الرجوع إلى الحق بعد ان تبين لها صدق دعوة سليمان عليه السلام، فهو يمدح صفة الشجاعة في الاعتراف بالخطأ، لدى ملكة سبأ، **فقال**: قالت رب إني ظلمت نفسي بعبادة ما دونك من الشمس، وآمنت مع سليمان بربوبيتك لله رب العالمين، فاعترفت بظلمها لنفسها رغم ما لها من قوة وسلطان، ولم تجترئ على الجحد، بل أقرّت ورجعت[30]. وأرى ان هذه الصفة هي من أعظم علامات القائد الناجح.

وإن جرأة الملكة في العودة إلى الحق هو جزء من هيبتها، فقد اعتبرت من ماضيها، فقالت رب إني ظلمت نفسي بعبادة ما دونك من الشمس واعترفت بما كانت عليه من العبادة الخاطئة، وظهرت شجاعتها في التّحول رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ النمل: ٤٤، فرجعت إلى الحق بعد ما تبين لها

وأشار القرطبي في تفسير مشهد (الصرح الممرد من قوارير) في قوله تعالى "قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ " ، أن الصرح كان صحنًا من زجاج تحته ماء وفيه الحيتان، عمله ليريها ملكًا أعظم من ملكها قاله مجاهد. وقال قتادة: كان من قوارير خلفه ماء (حسبته لُجّة) أي ماء. ثم يربطه بالاعتراف: فلمّا بان لها أنه صرح ممرد من قوارير علمت أنها ظلمت نفسها بذلك الظن[31].

وفي نهاية المبحث اخلص إلى ان الإمام القرطبي قد امتدح فضل بلقيس العظيم، وحكمتها الباهرة، وجرأتها في الاعتراف بالخطأ، وبعد وهم الصرح، جميعه يدل على قوة إيمانها ورجوعها إلى الحق.

المبحث الثالث: منهج القرطبي في إبرازقيادة المرأة: الوسائل والدلالات والتقييم

بعد تحليل ملامح القيادة في شخصية ملكة سبأ كما عرضها القرطبي، سأسلط الضوء في هذا المبحث على المنهج الذي اعتمده في إبراز هذا النموذج القيادي، فالمتأمل في تفسيره يجده لم يعرض القصة عرضًا سرديًا مجردًا، بل جاء ضمن إطار تفسيري يجمع بين النقل والتحليل، وقد دفعني هذا للبحث في الوسائل التي استخدمها لإبراز هذه المعاني، وكيف ربط بين القيادة وبين القيم التربوية والاجتماعية التي نحتاجها اليوم، وهدفي من هذا المبحث هو بينان منهج القرطبي وتقييمه، لنرى كيف يمكننا الاستفادة من رؤيته في فهم قضايا قيادة المرأة في واقعنا المعاصر، وذلك من خلال المطالب التالي:

المطلب الأول: الوسائل المنهجية التي استخدمها القرطبي في إبراز معاني القيادة.

يُعد الإمام القرطبي من أبرز المفسرين الذين اتجهوا إلى دراسة الشخصيات القرآنية دراسة تحليلية تستعرض أبعادها الفكرية والقيادية، ومن خلال تتبع تفسيره لقصة ملكة سبأ يتبين أن القرطبي اعتمد جملة من الوسائل المنهجية التي أسهمت في إبراز أبعاد القيادة النسائية بصورة متكاملة، **وفيما يلي أبرز هذه الوسائل:**

***النقل عن السلف والأئمة**

من الوسائل التي استخدمها القرطبي أثناء تفسيره، ذكره لأقوال من السلف.

0 فقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما المقصود بالملأ: قيل إن الملأ ألف قيل، وأهل اليمن يسمون القائد قيلًا، ومع كل قيل عشرة آلاف[32].

0 ونقل عن مجاهد: عمل الصّرح ليُريها ملكًا أعظم من ملكها[33].

***التحليل اللغوي**

لاحظت أن القرطبي يقف عند دلالات الألفاظ القرآنية، وقفة دقيقة، مستثمرًا إياها في الكشف عن المعاني القيادية.

0 ففي تفسيره لقوله: " وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ " النمل: ٢٣، يُبين أن معنى " تملكهم " أي تملك أمرهم وتتصرف فيهم، فقال: إني وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل تملك أهل سبأ[34]. (1)

وأوتيت من كل ما يحتاج إليه الملك من الجنود والأموال والآلات، فقال: مبالغة أي مما تحتاجه المملكة.

***المقارنة بالملوك المستبدين**

ففي تفسيره لقوله تعالى: "مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ" النمل:٣٢ قال: هذا من حسن الأدب مع قومها، ومشاورتهم في أمرها فلم تستأثر برأيها وإن كانت ملكة، بل رجعت إلى رأي الملأ، فهنا يظهر القرطبي منهجه في المقارنة بين سلوك بلقيس وبين سلوك الملوك المستبدين، مظهرًا تميزها[35].

***الاستنباط الفقهي**

إن الإمام القرطبي تجاوز الجانب التفسيري إلى الاستنباط الفقهي فقال في قوله تعالى: "مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ" النمل: ٣٢

أي حتى تحضرون وتشيرون، أصل فقه الشورى[36].

***إبراز القيم الأخلاقية في القيادة**

الإمام القرطبي لم يركز فقط على الجانب السياسي بل ركز أيضًا على القيم الأخلاقية التي اتصفت بها ملكة سبأ وذكر منها:

0 التواضع والاعتراف بالخطأ: عندما قالت " رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي" النمل: ٤٤ حيث اعترفت بظلمها، قبل إيمانها[37].

0 المشاورة: فقد بيّن القرطبي منهجها بالمشاورة فقال: هذا من حسن رأيها وصواب رأيها وفطنتها، فلم تستأثر برأيها وإن كانت ملكة، بل رجعت إلى رأي الملأ[38].

إن الإمام القرطبي قد اعتمد منهجًا تكامليًا في تفسيره لقصة ملكة سبأ، جمع فيه بين التحليل اللغوي، والاستناد التاريخي، والمقارنة، والاستنباط الفقهي، قد أسهم هذا التكامل في تقديم نموذج قيادي متوازن، يقوم على أسس الحكمة والشورى والتدبير والأخلاق مما يجعل تفسيره مرجعًا مهمًا في دراسة القيادة النسائية.

المطلب الثاني: الدلالات التربوية والاجتماعية لقيادة المرأة

تُعد قصة " ملكة سبأ" من النماذج القرآنية التي أبرزت حضور المرأة في موقع القيادة، وقد حظيت هذه القصة بعناية واضحة عند الإمام القرطبي في تفسيره، ومن خلال تتبعي لتفسيره، تبين لي انه استخرج دلالات تربوية واجتماعية، تعكس كفاءة المرأة في القيادة وحسن تدبيرها، ومن هذه الدلالات:

***ممارسة الشورى وتفويض الرعية لها**

فهذه **دلالة اجتماعية**، فبين القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: "وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ" النمل: ٣٣ قال: فوضوا الأمر إليها لما جربوا من حسن ملكتها وسداد تدبيرها. وأنها كانت تحكم وفق مبدأ الشورى، ولم تستبد برأيها مما جعل قومها يثقون برأيها ويفوضون القرارات النهائية لها.

***كمال عقلها وحسن تدبيرها**

وهذه دلالة تربوية فوصفها القرطبي باللبيبة والجليلة، واكد على رجاحة عقلها عندما قالت "إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ " النمل: ٣٤ قاله ابن عباس: قالت ذلك إدلالًا على ما عندها من المعرفة بحال الملوك[39].

***اختبارها للخصم**

فهذه فيها دلالة تربوية واجتماعية، فقد قالت للملأ من قومها: إن ملكًا دنيويًا فديناه بالأموال وكفينا قتاله، وإن كان نبيًا لم يرضه منا إلا اتباع دينه، فأورد القرطبي حرصها على سلامة قومها لاختيارها أسلوب الهدية قبل الدخول في مواجهة عسكرية[40].

***الرجوع للحق والإنابة**

عند تفسيره لقوله تعالى: "قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا" النمل: ٤٤ ذكر أنها حين رأت الصرح، علمت أن ملك سليمان من عند الله، فأسلمت وأسلم معها قومها، فأبرز القرطبي أن قيادتها انتهت، عندما اعترفت بذنبها واتبعت طريق الحق، وهو ما جعل قومها يتبعونها بالإيمان[41].

المطلب الثالث: إشارات القرطبي إلى دور المرأة القيادي

مع أن الإمام القرطبي لم يفرد حديثًا مستقلًا عن الدور القيادي للمرأة إلا أن تفسيره قد تضمن بعض الإشارات الواضحة يمكن من خلالها استنباط موقفه، وأهم هذه الإشارات:

0 عَرض شخصية ملكة سبأ بشكل إيجابي

0 ركز على صفاتها القيادية دون أي نقد لكونها امرأة

0 أبرز نجاحها في إدارة الأزمات

وجميع هذه الإشارات تدل على أن الإمام يعترف بوجود نموذج قيادي نسائي ناجح من خلال تقديمه في إطار قرآني يخلو من الإدانة، وهذا يعزز لديّ أن موقفه ليس الرفض المطلق، بل معتبر بإطار فقهي معين.

المطلب الرابع: أهمية منهج القرطبي في تناول قضايا قيادة المرأة وتقييمه

إن منهج القرطبي في تفسيره لقصة ملكة سبأ مثّل نموذجًا مهمًا في دراسة قضايا المرأة، لما تضمنه من توازن بين النص والاجتهاد، ومنهجه هذا ظهر أثناء تفسيره للآيات (22-44) من سورة النمل، بأنه لم ينكر ما ظهر منها من حسن تدبيرها، بل أظهر ما تضمنته أفعالها من معان كالمشاورة والتثبت والنظر في العواقب، **وأهم ما يميز منهجه:**

0قدم قراءة تجمع بين التفسير والفقه
0 أبرز القيم القيادية من النص القرآني
0 فتح المجال لفهم دور المرأة بشكل موسع

تقييم المنهج:

من الجوانب القوية في منهجه أنه امتاز:

0 إبراز القيم القيادية بشكل غير مباشر
0 ربطه بين النص والواقع: فالإمام القرطبي أقّر بنجاح بلقيس في قيادة قومها إلى (الإيمان بالله) ووصفها برجاحة العقل وهذا مما يقوي من دور المرأة القيادي.

ومن الجوانب التي تحتاج إلى نظر في منهجه:

0 تأثر القرطبي بالإطار الفقهي التقليدي: فعلى رغم أنه أشاد بقيادة ملكة سبأ إلا أنه ظل ملتزمًا بالنص الفقهي العام في مسألة الإمامة الكبرى، فكأنه أوجد نوعًا من الفصل بين التحليل التفسيري والحكم الفقهي.

ويمكنني القول هنا أن منهج الإمام القرطبي حاول التوفيق بين النص القرآني وبين الفقه السائد في عصره، وهو ما جعله منهجًا غنيًا وقابلًا لإعادة القراءة في ضوء القضايا المعاصرة.

وخلاصة المبحث: إن منهج القرطبي في تفسيره لقصة ملكة سبأ، كان منهجًا متميزًا، لأنه جمع بين الدقة العلمية والحكمة التربوية، مستخدمًا وسائل منهجية متقنة ودلالات اجتماعية، لتقديم رؤية متوازنة شجعت من مشاركة المرأة في القيادة دون مخالفتها للشرع

الخاتمة

بعد دراسة منهج القرطبي في إبراز الدور القيادي للمرأة من خلال تفسيره لقصة " ملكة سبأ "، اتضح ان هذا الموضوع مثّل نموذجًا تطبيقيًا مهمًا لفهم كيفية توظيف المفسرين للنص القرآني في معالجة القضايا الاجتماعية. وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج من أبرزها:

1-انطلاق الإمام القرطبي في نظرته للمرأة من مبدأ التكريم والمساواة في أصل التكليف، مع إقراره بأهليتها لتحمل المسؤولية القيادية إذا توفرت فيها شروط الكفاءة.

2-إن موقف القرطبي من قيادة المرأة لم يقم على المنع المطلق، ورغم انه يميل فقهيًا إلى التقييد لكنه عرض في تفسيره نموذجًا قياديًا نسائيًا ناجحًا دون إنكار.

3-إظهار القرطبي لأهلية المرأة للقيادة من خلال إبرازه ملامح قيادية مثل: الحكمة السياسية، الشورى، الهيبة، الرجوع للحق.

4-اعتماد القرطبي على منهج تفسيري جمع بين النقل عن السلف، والتحليل، والاستنباط، والربط بين النص والواقع.

5-إن تفسير القرطبي تضمن دلالات تربوية واجتماعية أكدت على فاعلية دور المرأة في بناء المجتمع والمشاركة في قيادته.

6-إن القرآن الكريم " كما يظهر في تفسير القرطبي " لم يركز على جنس القائد بقدر ما يركز على صفاته وسلوكه.

التوصيات:

1-الاهتمام بدراسة النماذج النسائية في القرآن الكريم، لما تتضمنه من دلالات تربوية واجتماعية.

2-تشجيع الباحثين على إجراء دراسات مقارنة بين القرطبي ومفسرين آخرين في إبراز قيادة المرأة في قصص قرآنية أخرى.

3-الاستفادة من القيم القيادية المستنبطة من القرآن لبناء نماذج قيادية معاصرة.

4- دعوة المؤسسات التدريبية بإعداد برامج تدريب لنساء قائدات مستفيدين من هيبة وقوة ملكة سبأ في إدارة الدولة.

5-العمل على تطوير مناهج دراسية " للمدارس والجامعات " تتناول منهج القرطبي في تفسيره لقصة ملكة سبأ، لتعليم الفتيات صفات القيادة، مما يجعلهن اكثر قدرة على تحمل المسؤولية القيادية.

الهوامش

[1] الداوودي، طبقات المفسرين، 69/2

[2] ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، 308/2.

[3] الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 114/15.

[4] ابن فرحون، الديباج المذهب، 393/1-394.

[5] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 445/19 -446.

[6] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 168/6-170.

[7] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 3 / 367-370.

[8] د. بكر بن محمد، الدور القيادي للمرأة، العدد الثامن، ص1126.

[9] المرجع السابق، ص 1145.

[10] الطبري، جامع البيان، 123/17-130.

[11] الزمخشري، الكشاف، 367/3-370.

[12] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 193/8-194.
[13] ابن فرحون، الديباج المذهب، 308/2.
[14] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 123/3
[15] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 46/5.
[16] أبو زهرة، الإمام القرطبي: حياته وعصره، ص154.
[17] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 168/5.
[18] البخاري، صحيح البخاري، الحديث رقم 4163، 136/5.
[19] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 183/13
[20] المرجع السابق، 183/13
[21] المرجع السابق، 183/13
[22] المرجع السابق، 183/13
[23] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 184/13.
[24] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 193/13-195.
[25] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 195/13
[26] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 195/13
[27] المرجع السابق، 194/13.
[28] المرجع السابق، 194/13.
[29] المرجع السابق، 195/13
[30] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، 213/13 .
[31] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 213/13.
[32] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 194/13.
[33] المرجع السابق، 208/13.
[34] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 182/13.
[35] المرجع السابق، 194/13.
[36] المرجع السابق، 194/13.
[37] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 213/13.
[38] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 195/13.
[39] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 197/13
[40] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، 198/13.
[41] المرجع السابق، 211/13.

المصادروالمراجع

1-ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ج2، دار التراث – القاهرة، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور.

2-الداوودي، شمس الدين محمد بن علي، طبقات المفسرين، ج2، دار الكتب العلمية -بيروت (1403ه /1983).

3-الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ج23، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2 (1413ه)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

4-الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج19، دار إحياء التراث العربي – بيروت (1374ه-1388ه)، تحقيق: أحمد شاكر.

5-ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج6، دار الكتب العلمية -بيروت - لبنان،ط1(1419ه-1998)، وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين.

6-الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج3، دار الريان للتراث بالقاهرة -دار الكتاب العربي بيروت، ط3 (1407ه- 1987م).

7-القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، ج13، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2 (1384ه- 1964م)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

8-أبو زهرة، محمد، الإمام القرطبي حياته وعصره، دار الفكر العربي – القاهرة (1377ه -1958م).

9-البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج5 (كتاب 64- المغازي باب 45، الحديث رقم 4163، دار ابن كثير – دمشق (1374ه- 1954م).

10- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج15، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1 (1424ه- 2003م)، حققه: د. بشار عوّاد معروف.

11-د. بكر بن محمد بن بكر آل عابد، الدور القيادي للمرأة واثره في تعزيز مفهوم الحكمة والوسطية في ضوء القرآن، نُشر في المجلة العلمية لكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا (جامعة الأزهر، مصر)، العدد الثامن، عام 1444ه/ 2022م.